تاريخ الإرسال: 2013/02/10 - تاريخ القبول للنشر: 2013/05/20 تاريخ النشر: 2013/06/25

الوقف اللازم في القرآن الكريم

أحمد بوصبيعات
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة زيان عاشور الجلفة

للوقف والابتداء أهمية كبيرة في فهم كتاب الله تعالى والوقوف على مقاصده ومراميه ذلك أن إدراك المعنى أو القصد من الخطاب القرآني منوط- في أغلب الأحيان إن لم نقل جميعها- بمعرفة مواضع الوقف والابتداء وتعلق الكلم بعضها ببعض، أي بمعرفة القارئ لكتاب الله عز وجل لمواضع الوقف والابتداء حق معرفة؛ أين يجب عليه أن يقف وأين يجوز له ذلك وأين يمتنع عليه الوقف... وما يستتبع كل أمر من هذا من معان ومقاصد. ورغم هذه الأهمية فإن العلماء لم يتفقوا على تقسيم واحد أو اصطلاح واحد لتسمية الوقوف، قال الأشموني :» والناس في اصطلاح مراتبه مختلفون كل واحد له اصطلاح وذلك شائع لما اشتهر أنه لا مشاحة في الاصطلاح، بل يسوغ لكل واحد أن يصطلح على ما يشاء»(الأشموني: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، مصر ط2008. ص1/23). ومن أقسام الوقف التي ذكروها: اللازم والتام والكافي والحسن ووقف المعانقة... وسنحاول فيما يلي الحديث عن الوقف اللازم تعريفا وتحليلا لمعرفة مدى توقف المعنى أو القصد على معرفة موضع هذا الوقف.

الوقف اللَّازم:

أ- اللَّازم لغة: الفعل منه لَزِمَ يَلزَمُ والفاعل لازم والمفعول به ملزوم، لزم الشيء يلزمه لزمًا ولزومًا ولازمه ملازمة ولزامًا، والتزمه وألزمه إياه فالتزمه، ورجل لُزَمَة : يلزم الشيء فلا يفارقه، وهو في اللغة الملازمة للشيء والدوام عليه (ابن منظور: لسان العرب. دار صادر بيروت لبنان، ط1997/1. ص495،494/5. الكفوي: الكليات. تح: عدنان درويش وممد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت ط2011/2 ص671.)

وقد وردت مشتقات مادة (ل، ز، م) في القرآن الكريم خمس مرات:

1- في قوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) هود :28.

2- في قوله تعالى: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا

يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ الإسراء :13﴿.

3ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ طه :129﴿.

4ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ﴿ الفرقان :77﴿.

5ـ في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْزَلَ اللّهِ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقّ بِهَا ﴾ ﴿ الفتح : 26﴿.

بـ اصطلاحا: هو الذي يلزم الوقف عليه، لأنه لو وصل بما بعده لأوهم معنى غير مراد، إذ لا يتضح المعنى إلا بذاك الوقف ﴿ السجاوندي: علل الوقوف. تح: محمد بن عبد اللّه بن محمد العيدي، مكتبة الرشيد، الرياض ط2006/2 ص1/62. الشريف الجرجاني: التعريفات. تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس بيروت، ط2007/2 ص349. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت ط2007 ص1/234﴿ كالوقف على كلمة « قولهم « من قوله تعالى:﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ للّهِ جَمِيعًا ﴾يونس: 65﴿. فلو وصلت بما بعدها لأوهم ذلك أن قوله ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ للّهِ جَمِيعًا ﴾ من مقولهم كما ذكرنا سابقا.

وهناك من يطلق على الوقف اللازم اصطلاح « وقف البيان»، ويجعل أحدهما مرادفا للآخر قال الأشموني:» وأما وقف البيان وهو أن يبين معنى لا يفهم بدونه» ﴿ الأشموني: منار الهدى 1/25﴿، وجاء في تعريف وقف البيان أيضا:» هو الوقف على كلمة تبين المعنى، ولا يفهم هذا المعنى بدون هذا الوقف. ويسمى وقف البيان بالوقف اللازم أو الواجب وعلامته : « مـ « ﴿ عبد اللطيف فايز دريان: التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، دار المعرفة، بيروت ط1999/1، ص473﴿ وسُمي هذا الوقف باللازم للزومه وتحتُّمه، وليس معنى ذلك أنه لازم شرعا بحيث يستحق القارئ الثواب على فعله والعقاب على تركه، بل المعنى أنه لازم لجودة التلاوة وإحكام الأداء فالقراءة لا تكون جيدة الصنع محكمة النسج بديعة النسق إلا إذا روعيت فيها هذه الوقوف ﴿الحصري: معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء. مكتبة السنة، مصر ط2002/1. ص15﴿ فلا بد من التفريق بين الوجوب أو اللزوم الأدائي والوجوب أو اللزوم الشرعي.

والوقوف اللازمة في القرآن الكريم بعضها متفق عليه بين جميع طبعات المصاحف وبعضها مختلف فيه بينها، و بعضها انفردت به بعض الطبعات فقط.

أـ الوقوف اللّازمة المتفق عليها:

الوقوف التي اتفقت جميع طبعات المصحف الشريف على لزومها عشرون موضعا في عشرين آية من القرآن الكريم وهي: ﴿ عبد الكريم إبراهيم عوض صالح: الوقف والابتداء و صلتهما بالمعنى في القرآن الكريم. دار السلام، مصر ط2006/1 ص70.﴿

1ـ الوقف على كلمة « مثلا » الثانية من قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا، فَأَمَّا الذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا)[البقرة:26].

2ـ الوقف على كلمة « آمنوا » من قوله تعالى: (زُيِّنَ لِلذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الذِينَ آمَنُوا ۘ وَالذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ)[البقرة:212].

3ـ الوقف على كلمة « بعض » من قولـــــــــــه تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۘ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)[البقرة:253].

4ـ الوقف على لفظ الجلالة « اللّه» من قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ ۘ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[آل عمران:07].

5ـ الوقف على كلمة « أغنياء » من قوله تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)[آل عمران: 181].

6ـ الوقف على لفظ الجلالة « اللّه » من قوله تعالى: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[النساء:118،117].

7ـ الوقف على كلمة « ولد » من قوله سبحانه وتعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلًا)[النساء:171].

8ـ الوقف على كلمة « تعتدوا » من قوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى)[المائدة:02].

9ـ الوقف على كلمة « أولياء » من قوله تعالى: (يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)[المائدة :51].

10ـ الوقف على كلمة « قالوا » من قوله تعالى: (وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ)[المائدة :64].

11ـ الوقف على كلمة « ثلاثة » من قـــــوله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ كَـــفَرَ الذِينَ قَـــالُوا إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَـــهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[المائدة:73].

12ـ الوقف على كلمة « أبناءهم » من قوله تعالى:) الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۘ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿الأنعام:20﴾.

13ـ الوقف على كلمة « سبيلا « من قوله سبحانه و تعالى:) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَ لَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿الأعراف:148﴾.

14ـ الوقف على كلمة « قولهم « من قوله تعالى: (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ العِزَّةَ للّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)﴿يونس:65﴾.

15ـ الوقف على كلمة « أولياء « من قوله تعالى: (أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ)﴿هود:20﴾.

16ـ الوقف على كلمة «عدنا» من قوله تعالى: (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا)﴿الإسراء:08﴾.

17ـ الوقف على كلمة « آخر» من قوله سبحانه و تعالى: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلَهً آخَرَ ۘ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)﴿القصص:88﴾.

18ـ الوقف على كلمة « لوط « من قوله تعالى: (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)﴿العنكبوت:26﴾.

19ـ الوقف على كلمة « قولهم « من قوله تعالى: (فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)﴿يس:76﴾.

20ـالوقف على كلمة «عنهم» من قوله سبحانه و تعالى:(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُر)﴿القمر06﴾.

بـ الوقوف اللّازمة المختلف فيها:

بالإضافة إلى الوقوف السابقة المتفق عليها، هناك وقوف أخرى اختلفت طبعات المصحف الشريف حول لزوم الوقف عليها وعدمه، وهي في إحدى عشرة آية، وهي: (عبد الكريم إبراهيم عوض صالح:الوقف والابتداء و صلتهما بالمعنى في القرآن الكريم 108.)

1ـ الوقف على كلمة « قولهم» من قوله تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)﴿البقرة:118﴾.

2ـ الوقف على كلمة «يسمعون» من قوله تعالى:(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)﴿الأنعام:36﴾.

3ـ الوقف على كلمة «بالأمن» من قوله سبحانه وتعالى: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ

وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۚ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[الأنعام: 81].

4- الوقف على لفظ الجلالة « اللّه» من قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ)[الأنعام: 124].

5- الوقف على كلمة « أكبر» من قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۘ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[النحل: 41].

6- الوقف على كلمة « العنكبوت» من قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۘ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[العنكبوت: 41].

7- الوقف على كلمة « الحيوان» من قوله تعالى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۘ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[العنكبوت: 64].

8- الوقف على كلمة « أكبر» من قوله تعالى: (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۘ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[الزمر: 26].

9- الوقف على كلمة «بينهما» من قوله تعالى: (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۘ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ)[الدخان: 07].

10- الوقف على كلمة « أكبر» من قوله تعالى: (كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۘ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[القلم: 33].

11- الوقف على كلمة « لا يؤخر» من قوله تعالى: (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۘ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[نوح: 04].

قد ذكرنا قبل قليل في تعريف الوقف اللازم بأنه الذي يلزم الوقف عليه، لأنه لو وصل بما بعده لأوهم معنى غير مراد، إذ لا يتضح المعنى أو القصد إلا بهذا الوقف، وسنذكر فيما يلي ثلاثة أمثلة أو نماذج لتبيين وجه اللزوم فيها، وما يترشح على ذلك من معرفة للمعنى وإدراك للقصد على أكمل وجه، وكيف يخرج عن المعنى المراد إذا لم يوقف عليه :

النموذج الأول:

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)[البقرة: 26].

الوقف على كلمة «مثلا» من قوله تعالى: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) وقف لازم

(السجاوندي:علل الوقوف 1/193.) ويكون الابتداء بعده بقوله تعالى: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا). وممن ذهب إلى هذا السجاوندي والحسن بن محمد النيسابوري وأبو حاتم والنحاس... ولم يذكر هاهنا وقفا الفراء وابن قتيبة وابن الأنباري والداني.

وقد ذكرنا سابقا أن الوقف اللازم هو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد، فلو وصلت (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) بما بعدها (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) لأوهم أن جملة «يضل به...» من مقول الكفار، ولأصبحت هذه الجملة صفة للمثل. وليس هذا المراد أو المقصود وإن ذهب إليه بعضهم كالفراء وابن قتيبة ، قال الفراء :» وقوله :(مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) كأنه قال والله أعلم : ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد يضل به هذا ويهدي به هذا، قال الله : وما يضل به إلا الفاسقين.» (الفراء: معاني القرآن. تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط1980/2 ص1/23.) فعند الفراء التمام عند كلمة الفاسقين وليس من وقف على «مثلا». وهذا بعيد في المعنى، قال أبو حيان: «واختار بعض المعربين والمفسرين أن يكون قوله تعالى: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) في موضع الصفة لمثل، وكأن المعنى: ماذا أراد الله بهذا مثلا يفرق به الناس إلى ضلال وإلى هداية فعلى هذا يكون من كلام الذين كفروا، وهذا الوجه ليس بظاهر، لأن الذي ذكر أن الله لا يستحي منه هو ضرب مثل ما، أيَّ مثل كان بعوضة أو ما فوقها، والذين كفروا إنما سألوا سؤال استهزاء وليسوا معترفين بأن هذا المثل يضل الله به كثيرا ويهدي به كثيرا إلا إن ضمن معنى الكلام أن ذلك على حسب اعتقادكم وزعمكم أيها المؤمنون فيمكن ذلك، ولكن كونه إخبارا من الله تعالى هو الظاهر» (أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير. دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1990/2 ص1/125.)

وعلى هذا فالأظهر والأولى أن يكون الوقف على «مثلا» من قوله تعالى: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)، ويكون قوله: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) ابتداء إخبار من الله عز وجل جوابا للكافرين(الرازي: التفسير الكبير أومفاتيح الغيب. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1990/1 ص2/126.) والذي يعضد هذا القرآنُ نفسه لأن القرآن يفسر بعضه بعضا، وكذا أقوال المفسرين. قال أبو جعفر النحاس بعد أن ذكر رأي أبي حاتم وهو الوقف على كلمة « مثلا» بخلاف ما قال الفرَّاء :» الأولى في هذا ما قاله أبو حاتم، والدليل على ذلك قوله جل وعز في سورة المدثر: وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)[المدثر: 31] ثم قال جل وعز:(كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) فهذا يبين ذلك.» (النحاس: القطع والائتناف. تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت ط2002/1 ص57 . الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الفكر بيروت ط1984 ص1/186.)

ومن أقوال المفسرين ما ذكره الإمام الطبري حين قال :» يعني بقوله يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا يضل به كثيرا من خلقه ، والهاء من به من ذكر المثل ، وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ ومعنى الكلام أن الله يضل بالمثل الذي يضربه كثيرا من أهل النفاق والكفر... يعني

المنافقين. و وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا يعني المؤمنين، فيزيد هؤلاء ضلالا إلى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له ، وأنه لما ضربه له موافق فذلك إضلال الله إياهم به ويهدي به يعني بالمثل كثيرا من أهل الإيمان والتصديق فيزيدهم هدى إلى هداهم، وإيمانا إلى إيمانهم لتصديقهم بما علموه حقا يقينا أنه موافق ما ضربه الله له مثلا وإقرارهم به، وذلك هداية من الله لهم به.» (الطبري:جامع البيان 1/182.) قال الله تعالى: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)[التوبة:125].

ومثل هذا الذي ذكره الإمام الطبري ذكره كذلك الزمخشري في كشافه فقال :»(يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بـــ» أَمَّا» وأن فريق العالمين بأنه الحق، وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم ، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلمائهم.» (الزمخشري: الكشاف. تح:مصطفى حسين أحمدن دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1987/3 ص1/118.)لأن المثل إنما يحسن عند ملاءمته للمضرب الذي يضرب فيه، وهم إنما استنكروا ضرب المثل بالبعوض فقالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذالا واستحقارا، وهذا المثل ما هو بمستنكر ولا مسترذل ولا مستحقر كما قالوا، بل هو البيان بعينه قال النيسابوري:» ثم إن الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير، وحكمته في كل ماخلق وبرأ عامة بالغة، وليس الصغير أخف عليه من الكبير ولا الكبير أصعب عليه من الصغير فالمعتبر إذن ما يليق بالقصة، فإذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت لخسة مضرب المثل ووهنه فكيف يضرب بالفيل وبشيء مستحكم النسج والصفاقة ؟» (القمي: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تح : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1996/1، ص1/203. أبو حيان:البحر المحيط 1/123.)

فقوله سبحانه وتعالى: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) جملتان مستأنفتان جاريتان مجرى البيان والتفسير للجملتين السابقتين المصدرتين بـ « أمَّا « على طريقة النشر المعكوس- كما يقول الطاهر ابن عاشور- لأن معنى هاتين الجملتين قد اشتمل عليهما معنى الجملتين السالفتين إجمالا، فإن علم المؤمنين أنه الحق من ربهم هدى ، وقول الكافرين « ماذا أراد الله ... ضلال. والأظهر أن لا يكون قوله: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) جوابا للاستفهام في قول الذين كفروا مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا لأن ذلك ليس استفهاما حقيقيا. (ابن عاشور: التحرير والتنوير. دار سحنون تونس، ط1997. ص1/365)

ومما ذكرنا سابقا نخلص إلى أن الوقف على كلمة «مثلا» وقف لازم يتضح به القصد أو المعنى المراد ويغمض بعدمه ، وما بعده جواب من الله عز وجل للكفار لأنهم استنكروا أن يضرب الله المثل بالمحقرات كالذباب والبعوض والعنكبوت ... لعدم الفائدة في ظنهم، فكان الجواب أن الله أراد بهذا المثل أنه « يضل به كثيرا « من اليهود عن الدين، و» يهدي

به كثيرا من المؤمنين (الفيروزأبادي: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . دار الفكر، بيروت ، لبنان ط 2001 . ص05) وتكون الجملة « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا « جملة مستأنفة. (محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم. دار الحديث، القاهرة ، ط 2004. ص11/283 .) لتبيين هذا المعن

النموذج الثاني:

قال تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)[البقرة:253]

الوقف على كلمة «بعض» من قوله تعالى: (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) وقف لازم لأنه لو وصل بما بعده (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) لصار الجار والمجرور صفة لـ «بعض» فينصرف الضمير في بيان المفضل بالتكليم إلى «بعض» لا إلى جميع الرسل، فيكون موسى عليه السلام من البعض المفضل عليه غيره، لا من البعض المفضل على غيره (السجاوندي:علل الوقوف 110، 111. القمي:تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان 2/110.)

والمعنى في الآية الكريمة من خلال أقوال المفسرين- يبين ويؤيد وجه اللزوم في الوقف على كلمة «بعض». فالآية الكريمة لها تعلق وارتباط سياقي بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)[البقرة:252] ثم قال تعالى بعد ذلك: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)، فتلك إشارة إلى الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة كموسى بن عمران وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وداود وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة ، أو إلى الرسل التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو إشارة إلى المرسلين في قوله (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) وهو الأولى ، ولا يلزم من ذلك علمه صلى الله عليه وسلم بأعيانهم، بل أخبر أنه من جملة المرسلين. (الطبري:جامع البيان 03/02. الزمخشري:الكشاف 1/297. أبو حيان:البحر المحيط 2/272.) ولما كان ظاهر اللفظ في الآية الأولى – كما يقول أبو حيان- يقتضي التسوية بين المرسلين، فإنه تعالى بيَّن بعد هذا أن المرسلين متفاضلون وليسوا سواء فقال تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أي أن هته الفئة الطيبة الرسل مع عظيم شأنها قد فضل الله بعضها على بعض، وأسباب التفضيل لا يعلمها إلا الله تعالى ، غير أنها ترجع إلى ما جرى على أيديهم من الخيرات المصلحة للبشر ، ومن نصر للحق ومالقوه من الأذى في سبيل ذلك ، وما أيِّدوا به من الشرائع العظيمة المتفاوتة في هدى البشر وفي عموم ذلك الهدى ودوامه. (ابن عاشور:التحرير والتنوير 03/06.) وقد جاء في هذا المعنى كذلك قوله تعالى: (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) [الإسراء:55] وهذا دليل على أن بعض الرسل أفضل من بعض، وهو ما أجمعت الأمَّة عليه. (الرازي:مفاتيح الغيب 6/165 .)

وتفاضل الرسل هذا على وجه الإجمال لا التفصيل ، قال الطاهر ابن عاشور:» وهذا إعلام بأن بعض الرسل أفضل من بعض على وجه الإجمال وعدم تعيين الفاضل من المفضول، ذلك

أن كل فريق اشتركوا في صفة خير لا يخلون من أن يكون بعضهم أفضل من بعض بما للبعض من صفات كمال زائدة على الصفة المشتركة بينهم ، وفي تمييز صفات التفاضل غموض، وتطرق لتوقع الخطأ وعروض، وليس ذلك بسهل على العقول المعرضة للغفلة والخطأ فإذا كان التفضيل قد أنبأ به رب الجميع ومن إليه التفضيل ، فليس من قدر الناس أن يتصدوا لوضع الرسل في مراتبهم، وحسبهم الوقوف عند ما ينبئهم الله في كتابه أو على لسان رسوله وهذا مورد الحديث الصحيح « لاتفضلوا بين الأنبياء « يعني به النهي عن التفضيل التفصيلي بخلاف التفضيل على سبيل الإجمال (ابن عاشور:التحرير والتنوير 03/07).

وبعد هذا الخبر من المولى عز وجل والمذكور في الآية (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض) انقطع الكلام واستؤنف كلام آخر في صفة منازل الرسل مفصلا فضيلة كل واحد بخصيصة لست لغيره، وبصفات يتعين بها المقصود منهم أي من الرسل أو بذكر اسمه (ابن عاشور:التحرير والتنوير 03/06. الأشموني:منار الهدى 1/113.) فذكر ثلاثة منهم. قال تعالى: (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ) أي منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير والمقصود موسى عليه السلام لاشتهاره بهذه الصفة أو الخصلة العظيمة في القرآن الكريم حيث قال تعالى: (وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[النساء:164]، ثم قال تعالى: (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) وأكثر أهل التفسير على أن المقصود هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال الزمخشري: «وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) أي: ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم درجات كثيرة، والظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الأنبياء، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات» (الزمخشري:الكشاف 1/297) ومما يبين فضله كذلك صلى الله عليه وسلم (ابن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب. تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1998/1، ص 300،299،298/4 . الرازي:مفاتيح الغيب 165/6 وما بعدها .) أنه أرسل رحمة للعالمين) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[الأنبياء:107] وقد قرن الله تعالى ذكره بذكره في الشهادة والأذان والتشهد، وقرن طاعته بطاعته (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ)[النساء:80] وقرن بيعته ببيعته (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللّهَ) [الفتح:10] وقرن عزته بعزته (وَلِلّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ) وقرن رضاه برضاه فقال: (وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ)[التوبة:62] وقرن إجابته بإجابته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [الأنفال:24] وغير ذلك من الآيات كثير جدا. ثم ذكر تعالى الثالث فقال سبحانه وتعالى: (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)

فالكلام هاهنا (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ) مقطوع عما قبله مستأنف به، لأنه لا تعلق له بالأول وهو قوله: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) لأن في الآية هاهنا مقصدين

الأول تفضيل بعض الرسل على بعض بالطاعات لا بالمعجزات، وهو مستفاد من قوله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ). والمقصد الثاني ذكر منازلهم، وهو مستفاد من قوله تعالى: (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ). ولو لم يلزم الوقف على كلمة «بعض» ولم يجب، لتغير المعنى والقصد في الآية الكريمة، إذ يصير (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) صفة لـ « بعض»، وليست كذلك. و يكون موسى عليه السلام ممن فضل عليه غيره لا ممن فضل على غيره، وليس القصد كذلك. ومن وصل ولم يقف كان مخطئا للمعنى المقصود أو المراد قال ابن الجزري في هذا :» لئلا يوهم التبعيض للمفضل عليهم والصواب جعلها- أي جملة: منهم من كلم الله- جملة مستأنفة فلا موضع لها من الإعراب(ابن الجزري: النشر في القراءات العشر. تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت ط2006/3. ص183/1 .)

النموذج الثالث:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْـــــــمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[آل عمران:07]

اختلفت آراء العلماء و المفسرين وتضاربت بين لزوم الوقف على لفظ الجلالة « الله « وعدم لزومه على رأيين:

الرأي الأول:

أن الوقف على لفظ الجلالة « الله» وقف لازم (الداني: المكتفى في الوقف والابتدا . تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط1987/2 ص95. الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه. تح: محمد تامر، دار الكتب العلمية بيروت، ط2000/1 ص455/1. الطبري:جامع البيان 184/3. النحاس:القطع والائتناف 117 . السجاوندي:علل الوقوف 36/1 .) لأن القصد والمعنى يتم هاهنا وتتعين الواو للاستئناف، والمعنى على هذا كما يقول الطبري في هذه الآية : وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أجل محمد وأمته ، وماهو كائن إلا الله دون من سواه من البشر الذين أملوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة (الطبري:جامع البيان 182/3.) ، لأن ذلك من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه قال تعـــــــالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[لقمان:34] (الباقولي: كشف المشكلات وإيضاح المعضلات. تح: الشربيني شريدة، دار اليقين مصر، ط2010/1، ص119.) وعلى هذا يكون المعنى والقصد أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ولا يكون لهم من المزية إلا قولهم : آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته (المجاشعي: النكت في القرآن الكريم. تح: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2007/1، ص 175.) ، ولو لم يوقف على لفظ الجلالة ووصل بما بعده لتغير مقصد الآية الكريمة ويدخل

بذلك الراسخون في العلم في حكم العلم بتأويل المتشابه، قال السجاوندي :» وما يعلم تأويله إلا الله ــ م ــ أي لازم في مذهب أهل السنة والجماعة، لأنه لو وصل فهم أن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه كما يعلمه الله ، وهذا ليس بصحيح ، بل المذهب أن شرط الإيمان بالقرآن العملُ بمحكمة والتسليم لمتشابهه، والراسخون مبتدأ ثناء من الله عليهم بالإيمان على التسليم بأن الكل من عند الله.» (السجاوندي:علل الوقوف 1/362،361 .)

وهذا الرأي مذهب الجمهور، إليه ذهب أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين والقراء والفقهاء وأهل اللغة، كعائشة رضي الله عنها وابن عباس وابن مسعود وأبي والحسن وابن نهيك والضحاك ومالك بن أنس ونافع ويعقوب والكسائي والأخفش والفراء وسهل بن محمد وابن كيسان وأبي إسحاق وأبي عبيدة وثعلب وابن الأنباري وغيرهم (ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير. المكتب الإسلامي، بيروت لبنان ط4/1987 ص1/354. أبو حيان:البحر المحيط 2/384 . ابن عادل الدمشقي:اللباب في علوم الكتاب 5/40 .) ، وقد استدل أصحاب هذا الرأي على لزوم الوقف بأدلة منها :

1ـ ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ : «وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم» فهذا يدل على أن الواو للاستئناف، لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة فأقل درجاتها أن تكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن، فيقدم كلامه على من دونه (الحاكم: المستدرك على الصحيحين. دار الفكر بيروت 1978، ص 2/289 .) ومثل ذلك قرأ أُبَيُّ كما نقل الفراء قال:»... ثم استأنف « والراسخون « فرفعه بـ «يقولون» لا بإتباعهم إعراب الله، وفي قراءة أبَيٍّ «ويقول الراسخون» وفي قراءة عبد الله بن مسعود : « إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم...» (السجستاني: كتاب المصاحف. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1/1985، ص68، 69. الفراء:معاني القرآن للفراء 1/191.)

2ـ ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:» إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه منه فآمنوا به.» وقال كذلك :» لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله ومايعلم تأويله إلا الله ...» (ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. دار الفكر، بيروت لبنان، ط2002 ص1/316.)

3ـ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:» كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله.» وعن عروة بن الزبير أنه كان يقول إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ولكنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا. (الطبري:جامع البيان 3/182، 183.)

4ـ قال أبو حاتم السجستاني:» الدليل على أن الموضع موضع ابتداء أي أن الوقف يكون على لفظ الجلالة والابتداء بالراسخين أن « أما» لا تكاد تجيء وما بعدها رفع حتى تثنى أو تثلث أو أكثر كما قال تعالى:(أَمَّا السَّفِينَةُ ... وَأَمَّا الغُلَامُ ... وَأَمَّا الجِدَارُ

...)[الكهف: 79، 82] وقال هاهنا : (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ)، ثم لم يقل «وأما « ففيه دليل أن الموضع موضع مبتدأ منقطع من الكلام الذي قبله.» (الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث مصر، ط2007 . ص293، 294.) ويكون المعنى: وأما الراسخون قال ابن الأنباري:» وهذا غلط لأنه لو كان المعنى:» وأما الراسخون في العلم فيقولون» لم يجز أن تحذف «أمَّا « و»الفاء» لأنهما ليسا مما يضمر.» (الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء 294 .) والأصل ما ذهب إليه السجستاني لأن « أمَّا « وردت للتفصيل في القرآن الكريم، وقد جاءت مكررة في مواضع وتُرك تكرارها في مواضع أخرى استغناء بذكر أحد القسمين عن الآخر كما في هذه الآية الكريمة ، وكأنه قيل: وأما الراسخون في العلم فيقولون (ابن هشام: مغني اللبيب.دار الفكر، دت، ص1/54. المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني. تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم سوريا، ط2002/3 ، ص182. عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/170 .)

الرأي الثاني:

أن الكلام إنما يتم عند قوله:(وَالرَّاسِخُونَ في العِلْم) على العطف على لفظ الجلالة ويقولون حال منهم أي قائلين، ويكون القصدَ هاهناَ والمعنى أن العلم بالمتشابه حاصل عند المولى عز وجل وعند الراسخين في العلم، وتتعين الواو للعطف لا للاستئناف. وهذا الرأي روي عن ابن عباس- إضافة إلى قوله الأول- وعن مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين. ومن أدلة أصحاب هذا الرأي (الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الفكر بيروت لبنان، ط 1983، ص3/84.):

1- روي أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (الألوسي: روح المعاني 3/84.) وكان ابن عباس يقول: أنا ممن يعلم تأويله، ولو كان التأويل مما لا يعلمه إلا الله لما كان للدعاء معنى.

2- أن الله سبحانه وتعالى مدح الراسخين بالتذكر في هذا المقام، وهو يشعر بأن لهم الحظ الأوفر في معرفة ذلك .

3- أنه يبعد أن يخاطب الله تعالى عباده بما لاسبيل لأحد من الخلق إلى معرفته ...

والرأي الراجح الذي نميل إليه هو الأول، وهو لزوم الوقف على لفظ الجلالة « الله» والابتداء بـ « والراسخون في العلم « ليتحقق المقصد والمعنى ، وهو أن الله سبحانه وتعالى قد استأثر بعلم المتشابه ، وذلك لسببين: الأول قوة أدلة من قال بهذا الرأي وضعف أدلة غيرهم، والثاني أن هذا مذهب الأكثرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وأتباعهم خصوصا أهل السنة والجماعة، و لم يذهب إلى الرأي الثاني إلا شرذمة قليلة كما نص عليه ابن السمعاني وغيره، ويد الله مع الجماعة. (التهانوي: أحكام القرآن. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط1418/3ه، ص 2/02.) قال الطبري:»

والصواب عندنا في ذلك أنهم- أي الراسخون- مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو يقولون.» (الطبري:جامع البيان 3/184.) وقال السجاوندي بعد أن ذكر الرأيين السابقين: « لكن الأصوب والأحق الوقف- أي على لفظ الجلالة- لأن التوكيد بالنفي في الابتداء وتخصيص اسم الله بالاستثناء يقتضي أنه مما لا يشاركه في علمه سواه، فلا يجـــوز العطف على قوله تعالى « إلا الله « كما على « لا إله إلا الله» (السجاوندي:علل الوقوف 1/363) وقال الأشموني:» الوقف على « إلا الله» وقف السلف وهو أسلم لأنه لا يصرف اللفظ عن ظاهره إلا بدليل منفصل.» (الأشموني:منار الهدى 1/126.)

المصادر والمراجع:

1- أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، مصر ط2008.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب. دار صادر بيروت لبنان، ط1/1997.

3- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي: الكليات. تح: عدنان درويش وممد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت ط2/2011

4- محمد بن طيفور السجاوندي: علل الوقوف. تح: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرشيد، الرياض ط2/2006.

5- الشريف الجرجاني: التعريفات. تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس بيروت، ط2/2007 .

6- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت ط2007 .

7- عبد اللطيف فايز دريان: التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، دار المعرفة ، بيروت ط1/1999.

8- محمود خليل الحصري: معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء. مكتبة السنة، مصر ط1/2002.

9- عبد الكريم إبراهيم عوض صالح: الوقف والابتداء و صلتهما بالمعنى في القرآن الكريم. دار السلام، مصر ط1/2006

10- أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن. تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط2/1980.

11- أثير الدين أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير. دار إحياء التراث العربي، بيروت

ط2/1990.

12ـ فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أومفاتيح الغيب. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1/1990.

13ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: القطع والائتناف. تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت ط1/2002 .

14ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الفكر بيروت ط1984.

15ـ محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف. تح:مصطفى حسين أحمدن دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3/1987.

16ـ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تح : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1/1996.

17ـ محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير. دار سحنون تونس، ط1997.

18ـ محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . دار الفكر، بيروت ، لبنان ط 2001 .

19ـ محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم. دار الحديث، القاهرة ، ط 2004.

20ـ أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب. تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1/1998.

21ـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري: النشر في القراءات العشر. تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت ط3/2006.

22ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: المكتقى في الوقف والابتدا . تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط2/1987 .

23ـ بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه. تح: محمد تامر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/2000.

24ـ نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي: كشف المشكلات وإيضاح المعضلات. تح: الشربيني شريدة ، دار اليقين مصر، ط1/2010.

25ـ أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي: النكت في القرآن الكريم. تح: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/2007.

26ـ جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير. المكتب الإسلامي، بيروت لبنان ط1987/4.

27ـ الحافظ محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم: المستدرك على الصحيحين. دار الفكر بيروت 1978.

28ـ أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: كتاب المصاحف. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1985/1.

29ـ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم. دار الفكر، بيروت لبنان، ط2002.

30ـ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث مصر، ط2007 .

31ـ جمال الدين بن هشام الأنصاري: مغني اللبيب. دار الفكر، دت.

32ـ أحمد بن عبد النور المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني. تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم سوريا، ط2002/3.

33ـ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الفكر بيروت لبنان، ط 1983.

34ـ ظفر أحمد العثماني التهانوي: أحكام القرآن. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط1418/3ه.